"الملك"

للشاعر محمود حسن اسماعيل

في مهرجان الوطن بذكرى نجاة "الفاروق" من حادث الفصاصين (*)

حَلا الغِناءُ ، فهاتوا نحمرَه ، هاتوا ... إنا نشاوَى ، وهذا الشعر كاساتُ

لا تعذلونا إذا لاحت جوانحنا ... كأنها لأغانى الحب حانات

كنا نحوم بليلٍ ليس فى يدِهِ ... لِحائرِ الطيرِ أعشاش وأيكات

فلا الغناءُ غناء فى حناجرنا ... ولا بأوتارنا تهتز آهات

كنا تماثيل تغريدٍ أحاط بنا ... نحات صمتٍ له بالشدو ثارات

نأسى ، وتأسى الأغانى فى مزاهرنا ... وللغناء كما للناس ويلات !

مَنْ ذلك الفارس البيضاءُ جبهته ... كأن أنوارَها للنصر آيات ؟

أوما إلى أدمع الأيام فاهتلكت ... وقُتِّلتْ فى مآقيها الشكايات

ومرَّ بالليل . . . والظلماء عاكرة ... ففُجِّرت منه أضواءٌ وهالات

وجاس فى الكوخ أرضا غرس تربتها ... جوع ، وشكوى ، وأسقام ، وعِلات

يمشى العراة بها فانين تبصرهم ... وفيهم من بنى الدنيا علامات ؟

مهلهلين على أبدانهم مِزَقٌ ... كأنها لِصراخ البؤس رايات

(*) ألقيت فى الاحتفال الذى أقيم بدار أوبرا الملكية مساء يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٤ وأذاعته محطة الإذاعة الملكية .

خفُّوا إليـــه جراحا غاب عائدها ... وطبُّها ، وتجافتْها الرعايات

ورفرفوا كطيورٍ جاءها خـــبر ... أن الربيع له فى الروض خطوات

طـاروا له رغم بلواهم وحرقتهـم ... كما تطير إلى الحـق الظلامات

كانوا "بأسوان" نسيانا تقلبه ... فتاكةً بين جنبيـه المجاعات

خاض المنايا ليُحيي شعبه بطـل ... لولاه راح الردى بالنـاس يقتات

من ذلك القـدر السارى تظلله ... أنّى مشى من يد الله العنايات؟

مفاجئٌ تكـتم البشرى سريرته ... كآية الســحرِ تُعليها الفُجاءات

"فاروق" بخر الحيارى ، أينما نزلتْ ... خطاه، فالأرض أعراس وجنات!

"فاروق" والنيل يهواه، فلو نطقت ... أمواجه هتفت منهـا الصبابات!

"فاروق" والطير تهواه ، فلو سئلت ... ترنّمت بأغانيهـا الجميـــلات!

"فاروق" والشرق يهواه، فكل فمٍ ... يدعو ، وكل يدٍ منهـا ضراعات!

"فاروق" قبلة "مصرٍ"، أينما خطرت ... أحلامه ، خلفها تجرى السياسات

اذا دجَتْ فى طريق الدهرِ نظرتها ... راحت تُضيءُ بكفّيه المنارات!

وإن تشعّب فيها الرأى واختلفت ... ذابت على يده منهـا الخلافات!

وإن بغَى ظالمٍ فيها ، فصولجه ... فى البأس تعرف ماضيه البريّات

* * *

مولاى واليومَ ذِكرى لحظةٍ شهِدت ... بمـا لحبك تطويه الحُشاشات !

هفتْ إليك قلوب الشعب واندفعت ... إلى ركابك أرواح ومهجات

وجاءكَ النيل يسعَى بينهم دنِفا ... يغلى بأشواقِهِ موجٌ وضفّات

والدوح كادت لِفرطِ الوجدِ أغصنه ... تُمـد منهـا إلى الرحمن راحات

والناس أمواج بحر تحت عاصفةٍ ... رياحها من جنون الأُفْق مُزجاة

طاروا لنورِك دعّاءين تسمعهم ... وتستجيب لهم فِيك السموات

وأنتَ فى جِيرةِ الصحراء تنفحها ... نورا ، تضيء بِمسراه المفازات

خيَّمت فى شطها فجرا تضاء بِه ... لِلسالِكين على البيد المتاهات

غنى بطلعتك الحـادى ، تجـاوبه ... صبائِحٌ جاوبتهنَّ العشيّات

ورددتكَ مزاميرا قوافلهـا ... كأنمـا انت "موسى" وهى توراة!!

وموكِب الريِح ، ماذا فى أنامِلِه ... معطّراتٌ ، شجيّات ، مضيئات

زارتكَ طوّافة ، فانظر ضراعتها ... واسمع. فِمن فمِها تجرى التّمِيمات

راحت تنُض على الصحراء ما حملتْ ... فكاد ينسخها رِىٌّ وإنبات

هذا جلالك يا "فاروق"! كل ثرى ... تمشى عليه ، مشت فيه القداسات

نُبوةٌ بمعـانى الخير ، راح بهـا ... واديك تفعم شطيْه المروءات !

فى كل بابٍ من الاصلاح تطرقه ... يا ما شجتنا ، وهزتنا الروايات !

رأى جديد ، وتجـديدٌ ، وموهبةٌ ... بنورِها سطعتْ منكَ الهدايات .

ماذا فعلتَ بوادى النيلِ؟ كان كرًى ... وكنتَ بعثا . . وللأيامِ حالات

نفحته عزمةٌ ، بأس الحديد لها ... مسكين قلبٍ له جُرحٌ وأنات

ورحتَ توقظ روحَ الشرقِ فى زمنٍ ... صحوُ الشعوبِ لأهليه ديانات

على يديك التقت آماله ، ولها ... من أنجم الليل أحباب وجارات!

مولاى ! ما مرَّ ليل أو دجا أفق ... إلا وتاجك للأوطان مشكاة

ذكرى نجاتك عيد خالد ، سطعتْ ... فيه لحبك فى الدنيا شهادات

(قباب عبدين) صارت كعبة وغدت ... مَزارَ حب له تحلو المناجاة

الناس فى ساحها كالطيرِ ظامئةٌ ... وأنتَ نبع ، وشطآنٌ ظليلات

وقفتُ أهتف لا شعرا ، ولا نغما ... لكن هوًى غرّدت فيه الخيالات

ومهجةٌ من سنا (الفاروق) قد شربت ... فرنّحتها من التغريد عزّات

"مَن ذاك الفارس البيضاء جبهته" ... كأن أنوارها للنصر آيات ! ،

"فاروق" والله للأوطان أرسله ... فجرا تفيض بكفّيه السعادات !

محمود حسن اسماعيل